

بحار الأنوار

[313] هو ساكت لا ينطق، ولا يقال: إن السراج ليضئ فيما يريد أن يفعل بنا ؟ لان الضوء من السراج ليس بفعل منه ولاكون، وإنما هو ليس شئ غيره فلما استضاء لنا قلنا: قد أضاء لنا حتى استضاءنا به، فهذا تستبصر أمرك. قال عمران: يا سيدي فإن الذي كان عندي أن الكائن قد تغير في فعله عن حاله بخلقه الخلق، قال الرضا (عليه السلام): أحلت يا عمران في قولك: إن الكائن يتغير في وجه من الوجوه حتى يصيب الذات منه ما يغيره، يا عمران هل تجد النار يتغيرها تغير نفسها ؟ أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها ؟ أو هل رأيت بصيرا قط رأى بصره ؟ (1) قال عمران: لم أر هذا، ألا تخبرني يا سيدي أهو في الخلق أم الخلق فيه ؟ قال الرضا (عليه السلام): جل يا عمران عن ذلك، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه، تعالى عن ذلك، وساعلمك ما تعرفه به ولا قوة إلا بالله، أخبرني عن المرأة أنت فيها أم هي فيك ؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأي شئ استدلت بها على نفسك ؟ قال عمران بضوء بيني وبينها، قال الرضا (عليه السلام): هل ترى من ذلك الضوء في المرأة أكثر مما تراه في عينك ؟ قال: نعم، قال الرضا (عليه السلام) فأرنا، فلم يجر جوابا، قال (عليه السلام): فلا أرى النور إلا وقد ذلك ودل المرأة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالا، ولا المثل الأعلى. ثم التفت إلى المأمون فقال: الصلاة قد حضرت، فقال عمران: يا سيدي لا تقلع علي مسألتي فقدرق قلبي، قال الرضا (عليه السلام): نعلي ونعود، فنهض ونهض المأمون فصلى الرضا (عليه السلام) داخلا، وصلى الناس خارجا خلف محمد بن جعفر، ثم خرجا فعاد الرضا (عليه السلام) إلى مجلسه ودعا بعمران فقال: سل يا عمران، قال: يا سيدي ألا تخبرني عن المبدأ عزوجل هل يوحد بحقيقة أو يوحد بوصف ؟ قال الرضا (عليه السلام): إن المبدأ الواحد الكائن الأول لم يزل واحدا لا شئ معه، فردا لا ثاني معه، لا معلوما ولا الواحد الكائن الأول لم يزل واحدا لا شئ معه، فردا لا ثاني معه، لا معلوما ولا مجهولا، ولا محكما ولا متشابها، ولا مذكورا ولا منسيا، ولا شيئا يقع عليه اسم شئ من الأشياء غيره، ولا من وقت كان، ولا إلى وقت يكون، ولا بشئ قام، ولا إلى شئ

(1) في نسخة: أو هل رأيت بصرا قط رأى بصره ؟.